

التطور الدلالي للأدب

للأدب دلالات عدة في تراثنا اللغوي منها ما هو خلقي ومنها ما نفسي ومنها ما هو ثقافي

ففي لسان العرب (هو كل ما كان فيه دعوة الى المحامد ونهي عن المقابح)

وفي معجم مقاييس اللغة (هو ان تجمع الناس الى طعامك)

وفي تاج العروس (هو حسن الاخلاق وفعل المكارم)

فالالفاظ تتطور بحسب تطور مصادر المعرفة الانسانية وتنوعها ، من معرفة مادية حسية الى معرفة نفسية ومنها الى معرفة معنوية ، ثم يصل بها التطور الى ان تصبح مصطلحا على فروع العلم والمعرفة .

ان التطور الدلالي للفظ (الادب) تم تتبعه من خلال ما ورد من نصوص شعرية ونثرية

فمثلا في العصر الجاهلي لا توجد نصوص تشير الى ان كلمة (ادب) فيه تعني ما تحمله في هذا العصر من معنى ، إذ تأخذ الكلمة في اصل استعمالها تأخذ جانبا حسيا

فقد ورد استعمالها على السنة الشعراء بمعنى الدعوة الى الطعام او الوليمة وفي ذلك يقول الشاعر طرفة بن العبد :

نحن في المشتاة ندعو الجفلى

لا ترى الآدب فينا ينتقر

الا ان أول تطور دلالي طرأ على كلمة (ادب) تركز على الدلالة التعليمية لاسيما في عصر صدر الاسلام ، وذلك ما جاء على لسان النبي الكريم (ص) ((ادبني ربي فأحسن تأديبي)) بمعنى التعليم وتهذيب السلوك

وفي عهد بني امية نجد الى جانب معنى تهذيب السلوك الذي دلت عليه كلمة (ادب) في عهد النبوة ، نجد ان المعنى اتسع وتطور ليحمل معنى تربويا تعليميا

تنقيفيا

فظهرت شخصية (المؤدب) وهو المعلم او الاستاذ الذي كان يختاره الخلفاء والامراء ومن في حكمهم لتعليم ابنائهم وتهذيبهم ، وكان ذلك التعليم شاملا لكل علوم العصر بلا استثناء وعرفت طبقة المعلمين بـ (المؤدبين)

وظهر معنى التنقيف كمفهوم مأخوذ من كلمة التأديب في هذا العصر

وفي العصر العباسي قويت الحركة العلمية وبلغت ذروة كمالها ، ممثلة بتأليف الكتب وتصنيف المعارف والنهوض بالترجمة ، صار هذا العصر يعرف بالنهضة في مختلف النواحي الثقافية

استقلت كلمة (ادب) وتفردت بالمعنى الذي ظل سائداً حتى الان ، فصارت تطلق على الكلام الجيد من المنظوم والمنثور ، وما يتناوله بالتفسير والشرح والنقد والتعليق ظهرت في هذا العصر مفهوم (حرفة الادب)

صدر كتاب للمبرد (الكامل) ورد فيه : ((هذا كتاب ألفناه يجمع ضروباً من الادب ما بين كلام منثور وشعر موصوف ، مثل سائر ، وموعظة بالغة)

وظهرت مؤلفات تنقيفية لرجال الحكومة العباسية وكتابها مثل (الادب الكبير) و(الادب الصغير) للمقفع

و(ادب الكاتب)لابن قتيبة

وحملت كلمة الادب معنى المأثور من الشعر والنثر كما في قول المتنبي :

انا الذي نظر الاعمى الى ادبي

واسمعت كلماتي من به صمم

انام ملئ جفوني عن شواردها

ويسهر القوم جراها ويختصم

فقد حمل اللفظ معنى الانتاج الشعري والبراعة اللغوية المتمثلة في شاعريته

وفي العصر الحديث اخذت كلمة الادب منذ اواسط القرن الماضي تدل على

معنيين :

اولا : معنى عام ، يدل على كل ما يكتب في اللغة مهما يكن موضوعه ومهما يكن اسلوبه ، سواء أكان علماً ام فلسفة ام ادبا خالصا ، فكل ما ينتجه العقل والشعور يسمى ادبا.

ثانيا: معنى خاص ، هو الادب الخالص الذي لا يراد به مجرد التعبير عن معنى من المعاني ، بل يراد به ان يكون جميلا بحيث يؤثر في عواطف القارئ والسامع على نحو ما هو معروف في صناعاتي الشعر وفنون النثر الادبية مثل : الخطابة والامثال والقصص والمسرحيات والمقامات .

وتتعدد تعريفات الادب لدى النقاد العرب المحدثين ، فيعرفه محمد مندور بأنه :

((صياغة فنية لتجربة بشرية)) ويعرفه شوقي ضيف بأنه((الكلام الانشائي البليغ

الذي يقصد به التأثير في عواطف القراء والسامعين سواء أكان شعرا ام نثرا))

وفي الثقافة الغربية ايضا لم يكن الادب يحمل المفهوم المتعارف عليه اليوم فقد كان يعني عندهم (كل شيء قيد الطبع)

اي ان من يكتب في الطب او الفلك او الرياضيات وغيرها يعد ادبا

وهناك من قصر معنى الادب على (الكتب العظيمة)

اي الكتب التي تشتهر لشكلها الادبي او تعبيرها بغض النظر عن موضوعها

وظهرت في الثقافة الغربية محاولات لتعريف الادب فمثلا ارسطو في كتابه فن

الشعر يعرف الادب على انه ((عبارة عن ظاهرة طبيعية محكومة بأصول))

ويعرفه اخرون على انه : الكتابة التخيلية

وكذلك : هو نوع من الكتابة التي تمثل عنفا منظما يُرتكب بحق الكلام الاعتيادي

ويعرفه جاكبسون الادب على انه ما يحول اللغة الاعتيادية ويشدها ، وينحرف

بصورة منظمة عن الكلام اليومي))